

وَجَعَلُوا الصِّفَةَ هِيَ الْمَوْصُوفُ [١]، فَجَعَلُوا الْعِلْمَ عَيْنَ الْعَالَمِ مُكَابِرَةً لِلْقَضَايَا الْبَدِيهَاتِ.

..... وَجَعَلُوا هَذِهِ الصِّفَةَ هِيَ الْأُخْرَى [٢] .....

أو غير ملوّن، أو ليناً أو يابساً؛ فالمهم لا بد أن يكون له صفة، أمّا أن يوجد شيء ليس له صفة فهذا ثابت، لكن قد تخيل في ذهنك أن شيئاً يوجد ولا صفة له، مثل الذي يحلم بالليل أنه يوجد شيء ليس له صفة، ولكنه لا يفرضه الذهن، وهو موجود في الخارج؟ هو ليس بموجود، كما أنك تفترض إنساناً يمشي على رأسه من القصيم إلى مكانة، يمكن أن تفرض هذا، لكنه لا يوجد في الواقع؟!

ويُمْكِن أن تفترض أن نملة تقتل جباراً من مكانه وتمشي به، لكن لا يمكن أن يوجد في الخارج.

[١] قوله: «وَجَعَلُوا الصِّفَةَ هِيَ الْمَوْصُوفَ»، أي: جعلوا صفة الشيء هي الشيء، فجعلوا العلم عين العالم، وهذا لا يصح.

فإذا قيل: فلان عنده مال كثير فهو غني، فالغنى صفة، لكنها ليست هي نفس الموصوف، وهذا نقول: ذو غنى؛ أي: صاحب غنى، والمضاف غير المضاف إليه، فهم:  
أولاً: جعلوا الإله سبحانه وتعالى هو الموجود المطلق بشرط الإطلاق.

ثانياً: «جَعَلُوا الْعِلْمَ عَيْنَ الْعَالَمِ» وهذا «مُكَابِرَةً لِلْقَضَايَا الْبَدِيهَاتِ» التي تعلم بسائل العقل بدون أي تكليف.

[٢] ثالثاً: وَجَعَلُوا هَذِهِ الصِّفَةَ -أي صفة من صفات الله- هي الأخرى.

فَلَمْ يُمِيزُوا بَيْنَ الْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ وَالْمَشِيَّةِ<sup>[١]</sup>، جَحْدًا لِلْعُلُومِ الضروريات<sup>[٢]</sup> .  
وَقَارَبُوهُمْ طَائِفَةً ثَالِثَةً<sup>[٣]</sup> مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ<sup>[٤]</sup> مِنَ الْمُعْتَزَلَةِ<sup>[٥]</sup> وَمَنْ اتَّبَعَهُمْ؛ .....

[١] قالوا: العِلْمُ وَالْقُدْرَةُ وَالْمَشِيَّةُ وَالْعِزَّةُ وَالْحِكْمَةُ، وَكُلُّ الصَّفَاتِ هِيَ عِبَارَةٌ عَنْ صِفَةٍ وَاحِدَةٍ؛ لَا تَبَرُّهُمْ يُزَعِّمُونَ أَنَّهُمْ لَوْ قَالُوا: إِنَّ الصَّفَاتَ مُتَعَدِّدَةٌ لَزِمَّاً تَعُدُّ الْمَوْصُوفِ، فَيُجِبُّ أَنْ تَكُونَ الصَّفَاتَ وَاحِدَةً، فَالسَّمْعُ هُوَ الْبَصَرُ، وَهُوَ الْعِلْمُ، وَهُوَ الْقُدْرَةُ، وَهُوَ الْمَشِيَّةُ، وَهُوَ الْعِزَّةُ.

[٢] يقول المؤلف رَحْمَةُ اللَّهِ: «جَحْدًا لِلْعُلُومِ الضروريات» يعني: أنَّ الْعِلْمَ الضروري يُنْكِرُ هَذَا الْكَلَامَ.

فَالإِنْسَانُ يَدْرِكُ صَفَةَ الْعِلْمِ وَصَفَةَ الْحِرْكَةِ، فَلَوْ رَأَى مَجْنُونًا يَتَحَرَّكُ لَمْ يَسْتَنِكِرْ لِتَبَاعِينَ الصَّفَاتَيْنِ، وَبِالْعَكْسِ؛ فَكُمْ مِنْ إِنْسَانٍ عَالَمٌ لَا يَسْتَطِعُ أَنْ يَتَحَرَّكَ، وَكُمْ مِنْ إِنْسَانٍ قَادِرٌ وَقَوِيٌّ وَهُوَ غَيْرُ عَالَمٍ، بَلْ أَجْهَلُ النَّاسِ يَفْرَقُ بَيْنَ الْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ، كَذَلِكَ السَّمْعُ وَالْبَصَرِ.

[٣] قوله: «وَقَارَبُوهُمْ طَائِفَةً ثَالِثَةً» هَذِه طَائِفَةٌ أَهُونُ السَّابِقَتَيْنِ.

[٤] قوله: «مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ» الَّذِينَ يَتَكَلَّمُونَ فِي الْعَقَائِدِ وَالطُّرُقِ النَّظَرِيَّةِ دُونَ الطُّرُقِ النَّقْلِيَّةِ، الَّذِينَ يَحَاوِلُونَ أَنْ يُثْبِتُوا الْعَقِيْدَةَ بِطَرِيقِ النَّظَرِ لَا بِطَرِيقِ الْأَثَرِ، هُؤُلَاءِ هُمْ أَهْلُ الْكَلَامِ الَّذِينَ بَنَوْا عَقِيْدَتَهُمْ لِيُسْعَى عَلَى الْكِتَابِ وَالسُّنْنَةِ، وَلِكِنْ عَلَى الْأَمْرِ وَالنَّظَرِيَّاتِ الَّتِي يُزَعِّمُونَهَا عَقْلًا وَلَا يُسْتَبِعُونَ بِعَقْلِهِ.

[٥] الْمُعْتَزَلَةُ: هُمْ أَصْحَابُ وَاصِلٍ بْنِ عَطَاءٍ الَّذِي اعْتَزلَ الْحَسَنَ الْبَصْرِيَّ رَحْمَةُ اللَّهِ لَا ذَكْرُ حُكْمِ الْإِسْلَامِ أَوْ قَوْلٍ أَهْلِ السُّنْنَةِ وَالْجَمَاعَةِ فِي الْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ، وَأَنَّ فَاعِلَّ الْكَبِيرَةِ

فَأَبْتُوا اللَّهِ الْأَسْمَاءَ دُونَ مَا تَضَمَّنَهُ مِن الصَّفَاتِ<sup>[١]</sup>.

فِيهِمْ: مَنْ جَعَلَ الْعَلِيمَ وَالْقَدِيرَ، وَالسَّمِيعَ، وَالْبَصِيرَ كَالْأَعْلَامِ الْمَحْضَةِ  
الْمُتَرَادِفَاتِ<sup>[٢]</sup>.

وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: عَلِيمٌ بِلَا عِلْمٍ، قَدِيرٌ بِلَا قُدرَةٍ، سَمِيعٌ بَصِيرٌ بِلَا سَمْعٍ وَلَا  
بَصِيرٍ، فَأَبْتُوا الْإِسْمَ دُونَ مَا تَضَمَّنَهُ مِن الصَّفَاتِ<sup>[٣]</sup>.

مُؤْمِنٌ نَاقِصُ الْإِيمَانِ، فَقَالَ وَاصْلُ بْنُ عَطَاءٍ: إِنْ فَاعِلَ الْكَبِيرَةِ فِي مَنْزِلَةِ بَيْنَ مَنْزِلَتَيْنِ،  
وَحَصَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْخَيْرِ مَشَادَةً، ثُمَّ قَامَ فَاعْتَزَلَ الْخَيْرَ، وَهَذَا جَاءَتْ تَسْمِيَّةُ الْمُعْتَزَلَةِ.

[١] أَبْتُوا اللَّهِ الْأَسْمَاءَ دُونَ مَا تَضَمَّنَهُ مِن الصَّفَاتِ، اللَّهُ تَعَالَى سَمِّيَ نَفْسَهُ بِالْعَلِيمِ  
وَالْحَكِيمِ وَالْعَزِيزِ وَالرَّحِيمِ وَالرَّحْمَنِ وَالْحَبِيرِ وَاللَّطِيفِ إِلَى آخِرِ الْأَسْمَاءِ، هُوَ لَاءُ أَقْرَوا  
بِالْأَسْمَاءِ، وَطَبِعَا هُمْ إِذَا أَقْرَوا بِالْأَسْمَاءِ فَقَدْ أَقْرَوا بِالْمَسْمَىِ، فَيَقُولُونَ: إِنَّ اللَّهَ مَوْجُودٌ  
وَأَنَّهُ مُسَمَّى بِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ، لَكُنُّهُمْ وَقَعُوا فِي خَطَايَا، يَذَكِّرُهُ الْمُؤْلِفُ فِيهَا بَعْدُ.

[٢] هَذَا هُوَ خَطَأُ الْمُعْتَزَلَةِ، فَهُمْ جَعَلُوا هَذِهِ الْأَسْمَاءَ أَسْمَاءً جَامِدَةً مُتَرَادِفَةً، لَا تَدْلُّ  
إِلَى الْعَيْنِ فَقَطُّ، وَلَا تَدْلُّ إِلَى الْمَعْنَىِ.

يَقُولُونَ: هَذَا الْاسْمُ الْقَدِيرُ وَالسَّمِيعُ وَالْبَصِيرُ لَا يَدْلُّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ لَهُ سَمْعٌ  
أَوْ بَصَرٌ أَوْ مَا أَشْبَهُ ذَلِكَ، أَوْ لَا تَدْلُّ أَصْلًا عَلَى مَعْنَى مُتَغَایِرٍ، فَهِيَ أَعْلَامٌ مُتَرَادِفَةٌ فَقَطْ  
لَا تَدْلُّ عَلَى مَعْنَى مُتَغَایِرٍ، قَالُوا: فَهُوَ كَالْأَسْدِ نُسْمَيْهُ أَسْدًا، وَلَيْلًا وَهِزْبَرًا إِلَى آخِرِهِ، فَهَذِهِ  
الْأَسْمَاءُ مُتَرَادِفَةٌ، أَعْلَامٌ فَقَطُّ، لَيْسَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا يَدْلُّ عَلَى شَيْءٍ، هُوَ لَاءُ قَوْمٍ.

[٣] وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: الْعِلْمُ غَيْرُ الْقُدرَةِ وَغَيْرُ السَّمْعِ وَغَيْرُ الْبَصَرِ، لَكُنَّهُ  
«عَلِيمٌ بِلَا عِلْمٍ، قَدِيرٌ بِلَا قُدرَةٍ، سَمِيعٌ بَصِيرٌ بِلَا سَمْعٍ وَلَا بَصَرٍ، فَأَبْتُوا الْإِسْمَ دُونَ

مَا تَضَمَّنَهُ مِن الصَّفَاتِ».

فَهُؤُلَاءِ الْمُعَتَرِّلُهُ أَثْبَتُوا الْأَسْمَاءَ، لَكِنْ انْحَرَفُوا بِهَا.

▪ فَمِنْهُمْ مَنْ جَعَلَهَا أَعْلَامًا مَجَرَّدَةً.

▪ وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: أَنَّهَا لَيْسَتْ أَعْلَامًا، إِنَّهَا هِيَ أَسْمَاءٌ مُشْتَقَّةٌ مَجَرَّدَةٌ، فَالسَّمِيعُ غَيْرُ الْعَالِيمِ، وَغَيْرُ الْحَكِيمِ، إِلَّا أَنَّهُ سَمِيعٌ بِلَا سَمْعٍ، وَبَصِيرٌ بِلَا بَصَرٍ، إِلَى آخِرِهِ.  
يُقُولُونَ: لَأَنَّا إِذَا أَثْبَتْنَا تَعْدُدَ الْمَعَانِي بَتَّعْدُدَ الْأَسْمَاءِ لَزِمَّ مِنْ ذَلِكَ تَعْدُدُ الْقَدْمَاءِ، وَالْقَدْمَاءُ عِنْهُمْ الْآلهَهُ، يَعْنِي: يَلْزُمُ أَنْ تَتَعَدَّ الْآلهَهُ، إِذَا أَثْبَتَ اللَّهُ كُلُّ اسْمٍ لَهُ مَعْنَى، وَكُلُّ مَعْنَى فَاللَّهُ مَتَّصِفٌ بِهِ، لَزِمٌ أَنْ تَتَعَدَّ الْآلهَهُ مُثُلُّ قَدِيرٍ، كَأَنَّهُ رَبٌّ وَاحِدٌ، سَمِيعٌ كَأَنَّهُ ثَانٌ، بَصِيرٌ كَأَنَّهُ ثَالِثٌ... وَهَكَذَا.

نَقُولُ لَهُمْ: أَنْتُمْ كَابِرُّهُمُ الْمَعْقُولُ؟ لَأَنَّ تَعْدُدَ الصَّفَةَ لَا يَلْزُمُ مِنْهُ تَعْدُدُ الْمَوْصُوفِ، حَتَّى الْإِنْسَانُ يُقَالُ عَنْهُ: هَذَا الرَّجُلُ أَيْضُّ وَطَوِيلٌ وَعَالِمٌ وَسَمِيعٌ وَبَصِيرٌ، وَهُوَ وَاحِدٌ.

فَاجْتِمَاعُ الصَّفَاتِ أَوْ تَعْدُدُ الصَّفَاتِ لَا يَلْزُمُ مِنْهُ تَعْدُدُ الْمَوْصُوفِ، فَلِمَذَا تَمْنَعُونَ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا مُتَّصِفًا بِالصَّفَاتِ لَكَنَّهُ وَاحِدٌ، وَلَا تَمْنَعُونَ أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ مُتَّصِفًا بِالصَّفَاتِ وَهُوَ وَاحِدٌ، وَالْعَقْلُ لَا يُنْكِرُ هَذَا وَلَا هَذَا؟!

وَنَقُولُ لَهُمْ: أَنْتُمْ قُلُومُ قَوْلًا لَا دَلِيلَ عَلَيْهِ؛ لَأَنَّ مَجَرَّدَ كُونِ السَّمِيعِ وَالْبَصِيرِ وَالْقَدِيرِ مَجَرَّدَ أَعْلَامٍ مُخْضَةٍ - أَيِّ: الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى الَّتِي تَكُونُ عَلَامَةً مُخْضَةً - فَالْعَلَمُ الْمُخْضُ الَّذِي يَدْلُلُ عَلَى الْمَسْمَى فَقَطُّ، لَيْسَ فِيهِ حُسْنٌ حَتَّى يَتَضَمَّنَ صَفَةً وَمَعْنَى كَامِلًا

وَالْكَلَامُ عَلَى فَسَادِ مَقَالَةٍ هُؤُلَاءِ وَبَيَانِ تَنَاقُصِهَا بِصَرِيحِ الْمَعْقُولِ<sup>[١]</sup> الْمُطَابِقِ لِصَرِيحِ الْمَنْقُولِ<sup>[٢]</sup> مَذْكُورٌ فِي غَيْرِ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ .  
وَهُؤُلَاءِ جَمِيعُهُمْ يَفْرُونَ مِنْ شَيْءٍ فَيَقَعُونَ فِي نَظِيرِهِ وَفِي شَرٍّ مِنْهُ<sup>[٣]</sup> .

يكونُ بِهِ حَسَنًا، يرِى الَّذِي قَالَ مِنْكُمْ: إِنَّهُ عَلِيهِمْ بِلَا عِلْمٍ، كَيْفَ يُمْكِنُ هَذَا أَنْ يُشَتَّقَ اسْمُ مِنْ مَعْنَى، ثُمَّ يُسْلَبُ عَنِهِ هَذَا الْمَعْنَى؟

لَا يُمْكِنُ أَنْ تَقُولَ لِلأَصْمَمِ إِنَّهُ سَمِيعٌ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ تَقُولَ لِلأَعْمَمِ إِنَّهُ بَصِيرٌ،  
وَلَا لِلْعَاجِزِ أَنَّهُ قَادِرٌ، بَلْ لَا يُمْكِنُ أَنْ تَقُولَ: قَادِرٌ إِلَّا مَنْ اتَّصَفَ بِالْقُدْرَةِ، وَعَالَمٌ  
إِلَّا مَنْ اتَّصَفَ بِالْعِلْمِ، إِلَى آخِرِهِ، وَبِهَا يَتَبَيَّنُ ضَلَالُ هُؤُلَاءِ الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ  
ذُووْ عُقْلٍ؛ لَأَنَّهُمْ كَابَرُوا الْمَعْقُولَ، وَخَالَفُوا الْمَنْقُولَ، وَخَرَجُوا عَنْ هَدْيِ الرَّسُولِ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

[١] أَوْلًا: أَنَّ الطَّرِيقَ الْمَعْقُولَ الْعَقْلُ الصَّرِيحُ الْخَالِصُ مِنَ الشُّبُهَاتِ وَالشَّهْوَاتِ.

[٢] ثَانِيًا: الْمَنْقُولُ يَعْنِي: النَّقْلُ الثَّابِتُ عَنِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ فِي كِتَابِ اللَّهِ .

لَأَنَّ اثْرَافَ الْعُقُولِ إِمَّا مِنْ شُبُهَاتِ تَعْرِضُ لِلإِنْسَانِ، وَإِمَّا مِنْ شَهْوَةٍ بِمَعْنَى  
إِرَادَةِ سَيِّئَةٍ، يَرِيدُ خَالِفَةَ الْحَقِّ، لَوْ تَأْمَلَتْ جَمِيعَ الْمُنْحَرِفِينَ عَنِ الشَّرْعِ لَوْجِدَتْ هَذَا  
أَسَاسَ انْحِرافِهِمْ، شَبَهَةٌ تَعْرِضُ لَهُمْ إِمَّا نَقْصٌ فِي الْعِلْمِ أَوْ نَقْصٌ فِي التَّصُوُّرِ، وَإِمَّا  
شَهْوَةٌ بِمَعْنَى إِرَادَةِ سَيِّئَةٍ، فَهَذِهِ الْحِقْيقَةُ هَذِهِ الْأَسْبَابُ الَّتِي يَضِلُّ بِهَا مَنْ ضَلَّ مِنَ  
النَّاسِ .

[٣] الْمُؤْلِفُ رَحْمَةُ اللَّهِ قَالَ كَلَامًا عَامَّا قَالَ: إِنَّهُمْ يَفْرُونَ مِنْ شَيْءٍ فَيَقَعُونَ فِي  
نَظِيرِهِ، بَلْ فِي شَرٍّ مِنْهُ أَيْضًا.

مَعَ مَا يَلْزَمُهُمْ مِن التَّحْرِيفِ وَالتَّعْطيلِ<sup>[١]</sup>.

[١] نضرب مثلاً: الذين قالوا: إننا نسلب عن الله النَّقيضين، ونقول: ليس موجوداً ولا معدوماً، فروا من التَّشْبِيهِ وقالوا: إن قلنا: موجود شبَّهناه بالمؤْجودات، وإن قلنا: معدوم شبَّهناه بالمعدومات.

فقولُ: وَقَعْتُمْ فِي مِثْلِ مَا فَرَزْتُمْ مِنْهُ، بَلْ شَرًّا مِنْهُ، أَتُمْ لَوْ قُلْتُمْ إِنَّهُ مَوْجُودٌ لَكُتُمْ شبَّهَتُمُوهُ بِالْمَوْجُودَاتِ، لَكِنْ شبَّهَتُمُوهُ بِشَيْءٍ مُمْتَنِعٍ غَيْرِ مُمْكِنٍ.  
وَيَقُولُونَ: إِنَّا نُؤْمِنُ بِوْجُودِهِ، لَكِنَّهُ مَوْجُودٌ لَكِنْ بِشَرْطِ الإِلْطَاقِ، وَلَا تُثْبِتُ لَهُ صِفَةً ثُبُوتِيَّةً.

فقولُ لهم أَيْضًا: أَتُمْ إِذَا نَقَيْتُ الصَّفَةَ وَقُلْتُمْ: إِنَّهُ مَوْجُودٌ مُطْلَقٌ بِشَرْطِ الإِلْطَاقِ، أو جعلْتُم الصَّفَةَ هِيَ عِنْدَ الموصوفِ، وَأَنَّهَا لَيْسَ شَيْئاً لازِماً لِلْمَوْصُوفِ، أو جعلْتُم الصَّفَاتِ مُتَرَادِفَةً وَقَعْتُمْ فِي شَرِّ مَا فَرَزْتُمْ مِنْهُ؛ لَأَنَّ الْوُجُودَ الْمُطْلَقَ لَا وِجْدَانَ لَهُ، فَشَيْءٌ يَكُونُ مَوْجُوداً وَجُودًا مُطْلَقاً عَارِياً عَنِ الصَّفَاتِ لَا وِجْدَانَ لَهُ؛ إِذْ كُلُّ مَوْجُودٍ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ صِفَةٍ، وَمَعْلُومٌ أَيْضًا أَنَّ الصَّفَةَ غَيْرِ الموصوفِ، وَلَا أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ الْعُقْلَاءُ يَقُولُ: إِنَّ الصَّفَةَ هِيَ عِنْدَ الموصوفِ أَبْدًا.

وَكَذَلِكَ نَعْلَمُ بِالْحَضْرَةِ أَنَّ الصَّفَةَ وَالصَّفَةَ الْأُخْرَى بَيْنَهُمَا تَبَاعِيْنُ، وَهِيَ لَيْسَتْ مُتَرَادِفَاتِ، فَالْعِلْمُ غَيْرُ الْقُدْرَةِ، وَالْقُدْرَةُ غَيْرُ السَّمْعِ... إِلَى آخِرِهِ، فَأَنْتُمْ فَرَزْتُمْ مِنْ شَرِّ وَقَعْتُمْ فِي شَرِّ مِنْهُ، بِالإِضَافَةِ إِلَى أَنَّهُمْ حَرَفُوا النُّصُوصَ؛ فَاللهُ يُثْبِتُ لِنَفْسِهِ هَذَا الشَّيْءَ وَهُمْ يَنْفُونَهُ عَنْهُ.

فإِذن نقول: كُلُّ هَذِهِ الطَّوَافِ الْثَلَاثِ نَخَاطِبُهُمْ جَمِيعاً، فنقولُ: مَا فَرَزْتُمْ مِنْهُ وَقَعْتُمْ فِي شَرِّ مِنْهُ، وَهَذَا فَكَلْمَةُ (بَلْ) فِي قَوْلِهِ: «بَلْ فِي شَرِّ مِنْهُ» هِيَ لِلإِبْطَالِ.

وَلَوْ أَمْعَنُوا النَّظَرَ لَسَوْا بَيْنَ الْمُتَهَاثِلَاتِ، وَفَرَّقُوا بَيْنَ الْمُخْلِفَاتِ كَمَا تَفَتَّضِيهِ  
الْمَعْقُولَاتُ [١].

وَلَكَانُوا مِنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ الَّذِينَ يَرَوْنَ أَنَّهَا أُنْزَلَ إِلَيْهِمْ سُوْلٌ هُوَ الْحَقُّ  
مِنْ رَبِّهِ وَكَلِّيٰ إِلَيْهِ صِرَاطُ الْعَزِيزِ الْعَمِيدِ، وَلَكِنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ الْمَجْهُولَاتِ الْمَشَبَّهَةِ  
بِالْمَعْقُولَاتِ [٢].

وَزِدْتُمْ عَلَى ذَلِكَ أَيْضًا تَحْرِيفَ النُّصُوصِ وَالتَّعْطِيلَ، أَمَّا أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ  
- وَلَهُ الْحَمْدُ - فَلَمْ يَقُعُوا فِي هَذِهِ الشُّرُورِ، فَلَا عَطَّلُوا وَلَا حَرَّفُوا، وَلَا وَقَعُوا فِي شَرِّ  
مَا فَرَّوْا مِنْهُ، بَلْ لَمْ يَقْرُرُوا، وَقَالُوا: مَا أَثْبَتَ اللَّهُ مِنْ صَفَةٍ أَثْبَتَنَاهُ.

[١] يعني: لو أنَّ الإِنْسَانَ أَمْعَنَ النَّظَرَ فِي كُلِّ شَيْءٍ - وَلَيْسَ فَقْطَ فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ  
وَصَفَاتِهِ - وَنَظَرَ بِدِقَّةٍ لَوْجَدَ أَنَّ الْمُتَهَاثِلَاتِ مُتَسَاوِيَّةٌ، وَوَجَدُوا أَيْضًا أَنَّ الْمُخْلِفَاتِ  
مُتَفَرِّقَةٌ.

مَثَلُ ذَلِكَ بِالنِّسْبَةِ لِلصَّفَاتِ: مَعْلُومٌ أَنَّ الْخَالِقَ غَيْرَ الْمَخْلُوقِ، فَإِذَا أَثْبَتَ الْخَالِقُ  
لِنَفْسِهِ صِفَةً مِنَ الصَّفَاتِ يُحِبُّ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الصِّفَةُ غَيْرَ الصِّفَةِ الَّتِي تَكُونُ فِي الْمَخْلُوقِ،  
وَلَيْسَ فِي ذَلِكَ مِنْ عَذْوَرٍ، فَمَعَ أَنَّكَ إِذَا أَثْبَتَ اللَّهَ تَعَالَى ذَاتًا لَيْسَ كَذَاتِ الْمَخْلُوقِ  
فَأَنْتَ عَلَى حَقٍّ، وَكَذِلِكَ أَيْضًا فِي الصَّفَاتِ.

[٢] هُنَّ الْمَجْهُولَاتُ ضِدُّ الْمَعْلُومَاتِ الْمَشَبَّهَةِ بِالْمَعْقُولَاتِ؛ لَأَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ  
الْعَقْلَ مَا كَانُوا عَلَيْهِ، فَهُؤُلَاءِ يَحْكُمُونَ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ بِالْعَقْلِ وَالنَّظَرِ دُونَ الْأَثْرِ وَالنَّقلِ،  
فَلَوْ أَنَّهُمْ رَجَعُوا إِلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ لَكَانُوا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، لَكِنَّهُمْ حَكَمُوا عُقُولَهُمْ  
فَصَارُوا مِنْ أَهْلِ الْجَهَلِ.

يُسْفِسِطُونَ فِي الْعُقْلِيَّاتِ<sup>[١]</sup>، وَيُقْرِمُطُونَ فِي السَّمْعِيَّاتِ<sup>[٢]</sup>.

وَذَلِكَ أَنَّهُ قَدْ عُلِمَ بِضُرُورَةِ الْعُقْلِ أَنَّهُ لَا يَبْدُ مِنْ مَوْجُودٍ قَدِيمٍ<sup>[٣]</sup>.

[١] السَّفْسَطَةُ: عبارة عن إنكار المحسوس؟ بمعنى: أن الإنسان يشك في كل شيء، تقول له متلاً: هذا كتاب من ورق، فيقول: لا أدرني من ورق أو لا، نقول: هذه سفسطة، نقول له: هذه هي الشمس فيقول: يمكن أن تكون هذه القمر، يمكن أن يطلع البدور الليلة، وهذا القمر، أحياناً يقولون عن بعضهم إنه ينكرو نفسه فينام، فإذا أصبح قال: لعلى فلان، حتى إنه لا ينام بعضهم إلا وقد ربط نفسه بخيط ليكون علاماً أنه هو الذي نام، فهو يخشي أن يكون فلاناً الثاني، وبعضهم يسلم على بعض ويقول: لعلى سلمت على نفسي؛ لأنَّه لا يوجد أحد؛ لأنَّ أنا هو ذاك، والحاصل أن هذه سفسطة في العقليات.

[٢] القرمطة في السمعيات: فسبق أن قلنا إن القرمطة هم الذين يتبعون حمان ابن قرمط، وهو لا ينكر دلالَة النصوص، وقالوا: إن للنصوص ظواهر وبواطن، وأن ظواهر النصوص هذه للعامة، وأما بواطن النصوص فهي للخاصة، نسأل الله السلامة.

[٣] ما هو بديهي على العقل أن هؤلاء النفاوة بمراتبهم الثلاث الرد عليهم بما ذكر المؤلف رحمة الله: «وَذَلِكَ أَنَّهُ قَدْ عُلِمَ بِضُرُورَةِ الْعُقْلِ أَنَّهُ لَا يَبْدُ مِنْ مَوْجُودٍ قَدِيمٍ غَنِّيًّا عَمَّا سِوَاهُ».

وقول المؤلف ابن تيمية رحمة الله: «لَا يَبْدُ مِنْ مَوْجُودٍ قَدِيمٍ» قول صحيح، «الموجود» يعني: يخرب به عن الله، وإن كان لا يسمى به لا يقال: يا موجود، يا معبد،

غَنِيٌّ عَمَّا سِوَاهُ<sup>[١]</sup>، إِذْ نَحْنُ نُشَاهِدُ حُدُوثَ الْمُحْدَثَاتِ كَالْحَيَّانِ وَالْمَعِدِنِ وَالنَّبَاتِ، وَالْحَادِثُ مُمْكِنٌ لَيْسَ بِوَاجِبٍ وَلَا مُمْتَنَعٌ<sup>[٢]</sup>، وَقَدْ عُلِمَ بِالإِضْطِرَارِ أَنَّ الْمُحْدَثَ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ مُحْدِثٍ<sup>[٣]</sup>، .....

كما يقول بعض الناس، فإن: يا موجود. ليس فيها صفة كاملة محمودة، ولكن يخبر بها عن الله، فيقال: الله موجود، قديم، غنيّ عمّا سواه، هذا هو الغنيّ كما قال الله: «هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ» [فاطر: ١٥]، موجود.

[١] «غَنِيٌّ عَمَّا سِوَاهُ» فنحن نشاهِدُ الْمَخْلُوقَاتِ الْمُحْدَثَاتِ كَالْحَيَّانِ وَالْمَعِدِنِ وَالنَّبَاتِ وَالْمَاءِ، وَالْحَادِثُ الْمُمْكِنُ لَيْسَ بِوَاجِبٍ وَلَا مُمْتَنَعٌ.

[٢] قوله: «إِذْ نَحْنُ نُشَاهِدُ حُدُوثَ الْمُحْدَثَاتِ كَالْحَيَّانِ وَالْمَعِدِنِ وَالنَّبَاتِ، وَالْحَادِثُ مُمْكِنٌ لَيْسَ بِوَاجِبٍ وَلَا مُمْتَنَعٌ»، هذا صحيح، سواء حيوان أو نبات أو معادن أو أشجار أو غيرها، نشاهِدُ حدوث هذه المحدثات كما نشاهِدُ أيضاً تغيير هذه الصفات فضلاً عن وجودها، نحن نشاهِدُ مثلاً أن الشمس تقتربُ منا أحياناً وتبتعدُ، وكذلك القمر والنجوم وغيرهم، هذه الأشياء وجودها بعد أن كانت معدومة يدل على أنها ليست واجبة الوجود؛ لأنها لو كانت واجبة الوجود لم تكن معدومة من قبل؛ لأن الواجب عند الفلاسفة أو المتكلمين ما لا يمكن حدوثه بعد عدم، وهذه الحوادث تدل على أنها ليست واجبة الوجود؛ لأن الواجب الوجود لا يمكن أن يكون معدوماً، وحدوثها أيضاً يدل على أنها ليست من المستحيل؛ لأنها لو كانت مستحيلة ما وجدت، إذن فهي من الممكن الجائز الوجود.

[٣] أي قد عُلِمَ عِلْمًا ضروريًا أن الحادث لا بد له من محدث، كما قال الأعرابي: الأثر يدل على المسير، والبَرَأَةُ تدل على البعير، كل حادث لا بد له من محدث.

وَالْمُمْكِنَ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ مُوْجِدٍ<sup>[١]</sup>، كَمَا قَالَ تَعَالَى: «أَمْ خَلَقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ أَخْلَقُونَ» [الطور: ٣٥]<sup>[٢]</sup>.

فَعِنْدَمَا أَقُولُ مثلاً: هَذَا الْبَنَاءُ حَادِثٌ قَامَ عَلَى الْأَسَاسِ الْأَوَّلِ تُرَابٌ ثُمَّ صَارَ بَنَاءً، نَحْنُ نَعْلَمُ بِالضَّرُورَةِ أَنَّ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ مُحَدِّثٍ؛ لَا بُدَّ مِنْ إِنْسَانٍ بَنَاهُ أَوْ مِنْ بَانِ بَنَاهُ.  
إِذْنُ كُلِّ حَادِثٍ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ مُحَدِّثٍ.

[١] المُمْكِنُ: الَّذِي لَيْسَ بِوَاجِبٍ وَلَا مُسْتَحِيلٍ، لَا بُدَّ لَهُ مِنْ مُوْجِدٍ.

[٢] كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «أَمْ خَلَقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ أَخْلَقُونَ» [الطور: ٣٥]  
(أَمْ) هَذَا مَنْقَطِعَةٌ بِمَعْنَى (بَلْ)، وَهَمْزَةُ الْإِسْتِفَاهَ إِنْكَارٍ يَعْنِي: بَلْ أَخْلَقُوا مِنْ غَيْرِ  
شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ؟

وَيَكُونُ الْجَوابُ: لَيُسُوا هُمُ الْخَالِقِينَ، إِنْسَانٌ لَمْ يَخْلُقْ نَفْسَهُ؛ لَأَنَّهُ قَبْلَ أَنْ يُوجَدَ  
مَعْدُومٌ، وَالْمَعْدُومُ لَا يَخْلُقُ، وَلَيْسَ مَخْلُوقًا بَدُونِ خَالِقٍ، مَنْ خَلَقَ أَبَاهُ وَوَضَعَهُ فِي رَحْمِ  
أُمِّهِ؟ هَلْ أُمُّهُ صَنَعَتُهُ بِرَحْمِهَا؟ هَلْ الطَّبِيبُ صَنَعَهُ فِي رَحْمِ أُمِّهِ؟ الْجَوابُ: لَا، إِذْنُ لَا بُدَّ  
لَهُ مِنْ خَالِقٍ، وَهَلْ خَلَقَهُ الْبَشَرُ الْمَخْلُوقُ؟!

إِذْنُ فِي كُونِ الَّذِي خَلَقَهُ هُوَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، قَالَ جُبَيرُ بْنُ مَطْعَمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَكَانَ  
أَسِيرًا مِنْ أَسْرَى بَدْرِي فِي الْمَدِينَةِ - سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ فِي الْمَغْرِبِ بِالْطُورِ فَلَمَّا بَلَغْ قَوْلَهُ  
تَعَالَى: «أَمْ خَلَقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ أَخْلَقُونَ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُؤْقِنُونَ»  
[الطور: ٣٥-٣٦]، قَالَ: «كَادَ قَلْبِي يَطِيرُ، وَوَقَعَ - أَوْ وَقَرَ - إِلَيْانِ فِي قَلْبِي»<sup>(١)</sup>.

(١) أَخْرَجَهُ الْبَخَارِيُّ: كِتَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، بَابُ قُولَهُ: «وَسَيِّئَتْ يَحْمِدُ رَبِّكَ قَبْلَ طُوعِ الشَّهِيسِ وَقَبْلَ  
الْأَفْرُوبِ» [ق: ٣٩]، رَقْمُ (٤٨٥٤).

فَإِذَا لَمْ يَكُونُوا خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ خَالِقٍ وَلَا هُمُ الْخَالِقُونَ لَا نَفْسٍ يَعِينُ أَنَّ  
لَهُمْ خَالِقًا خَلَقَهُمْ [١].

وَإِذَا كَانَ مِنَ الْمَعْلُومِ بِالضَّرُورَةِ أَنَّ فِي الْوُجُودِ مَا هُوَ قَدِيمٌ وَاجِبٌ بِنَفْسِهِ،  
وَمَا هُوَ مُحَدَّثٌ مُمْكِنٌ يَقْبَلُ الْوُجُودَ وَالعَدَمَ فَمَعْلُومٌ أَنَّ هَذَا مَوْجُودٌ، وَهَذَا  
مَوْجُودٌ، وَلَا يَلْزَمُ مِنْ اتِّفَاقِهِمَا فِي مُسَمَّى الْوُجُودِ أَنْ يَكُونَ وُجُودُ هَذَا مِثْلُ  
وُجُودِ هَذَا، بَلْ وُجُودُ هَذَا يَخْصُهُ وَوُجُودُ هَذَا يَخْصُهُ.

وَاتِّفَاقُهُمَا فِي اسْمِ عَامٍ لَا يَقْتَضِي تَمَاثُلَهُمَا فِي مُسَمَّى ذَلِكَ الْإِسْمِ عِنْدَ الْإِضَافَةِ  
وَالْتَّخْصِيصِ وَالتَّقْيِيدِ وَلَا فِي غَيْرِهِ [٢].

[١] لنذهب ولنفترض فلن نجد أحداً خلقهم من البشر، بل ولا من الخلق كلهم، إذن يكون الخالق هو الله، وللهذا قال الله تبارك وتعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ  
الْخَلِقُونَ﴾، فإذا لم يكُنُوا خُلِقُوا من غير خالق ولا هُمُ الْخَالِقُونَ لَا نَفْسٍ يَعِينُ أَنَّ  
لَهُمْ خَالِقًا خلقهم، هذا الخالق هو الله؛ لأنَّ الإنسان لا يستطيع ذلك.

أراد المؤلف إثباتَ وُجُودِ اللهِ عَزَّوجَلَّ بِدَلَالَةِ الْحَوَادِثِ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الْحَوَادِثُ  
الَّتِي تَحْدُثُ لَا بُدَّ لَهَا مِنْ مُحَدِّثٍ، هَذَا الْمَحْدِثُ هُوَ اللهُ، وَإِذَا كَانَ مِنَ الْمَعْلُومِ بِالضَّرُورَةِ  
أَنَّ فِي الْوُجُودِ مَا هُوَ قَدِيمٌ وَاجِبٌ بِنَفْسِهِ، وَمَا هُوَ مُحَدَّثٌ مُمْكِنٌ يَقْبَلُ الْوُجُودَ وَالعَدَمَ،  
فَمَعْلُومٌ أَنَّ فِي الْوُجُودِ مَا هُوَ وَاجِبٌ الْوُجُودُ وَمَا هُوَ مُمْكِنٌ الْوُجُودُ.

[٢] قوله: «وَاتِّفَاقُهُمَا فِي اسْمِ عَامٍ لَا يَقْتَضِي تَمَاثُلَهُمَا فِي مُسَمَّى ذَلِكَ الْإِسْمِ عِنْدَ  
الْإِضَافَةِ وَالْتَّخْصِيصِ وَالتَّقْيِيدِ» وهو الاسم العام الذي يقع الْوُجُودُ فِيهِ، فلَا يَلْزَمُ  
مِنْهُ أَنْ يَتَنَاسَبَا فِي ذَلِكَ الْإِسْمِ عِنْدَ الْإِضَافَةِ وَالتَّقْيِيدِ.

فَلَا يَقُولُ عَاقِلٌ إِذَا قِيلَ: إِنَّ الْعَرْشَ شَيْءٌ مَوْجُودٌ<sup>[١]</sup>، وَأَنَّ الْبَعْوَضَ شَيْءٌ مَوْجُودٌ؛ إِنَّ هَذَا مِثْلَ هَذَا؛ لِاتْتَفاِقِهِمَا فِي مُسَمَّى الشَّيْءِ وَالْوُجُودِ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ فِي الْخَارِجِ شَيْءٌ مَوْجُودٌ غَيْرُهُمَا يَشْتَرِكُانِ فِيهِ<sup>[٢]</sup>،.....

فمثلاً: كلمة (وجود) لفظٌ مطلقٌ، لكن عند الإضافة والتقييد نقول: وجود الحَالِقِ، وحُكْمُهُ يَخْصُهُ، ووجود المَخْلُوقِ جائزٌ ليس بواحِدٍ، فتبينَ أن بمجَرِ اتفاقِ الاسمِ بينَ الشَّيْئَيْنِ لا يُلزِمُ مِنْهُ اشتراكُهُمَا فِيهَا يَخْصُهُ بِكُلِّ وَاحِدٍ، يَتَفَقَّانِ فِي مُسَمَّى الْوُجُودِ لَكُنْ يَخْتَلِفَانِ؛ هَذَا وَجُودُهُ يَخْصُهُ وَهَذَا وَجُودُهُ يَخْصُهُ، فَإِذَا كَانَ كَذِيلُكَ فِيمَا يَخْتَلِفُانِ مَانِعٌ مِنْ أَنْ نُشِّبَ اللَّهَ صِفَاتِ ثَبُوتِيَّةً، وَنَقُولُ إِنَّهَا تَخْتَصُّ بِهِ وَلَا تُشِّبِّهُ صِفَاتِ الْمَخْلُوقَيْنِ؟ لَيْسَ هُنَاكَ مَانِعٌ، كَمَا أَنَّا اتَّفَقْنَا جَمِيعًا عَلَى أَنَّ الْكَلَامَ مَعَ الَّذِينَ يُشَبِّهُونَ اللَّهَ الْوُجُودَ عَلَى أَنَّ الْوُجُودَ صَفَّةٌ وَهِيَ عَنْدَ الْإِطْلَاقِ يَشَرِّكُ فِيهَا الْحَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ، لَكُنْ عَنْدَ الإِضَافَةِ وَالتَّقْيِيدِ يَكُونُ وَجُودُ الْحَالِقِ يَخْصُهُ وَوَجُودُ الْمَخْلُوقِ يَخْصُهُ.

[١] يعني: لا يُوجَدُ أَحَدٌ عَاقِلٌ يَقُولُ: إِنَّ الْعَرْشَ مَوْجُودٌ.

وهل وجود العَرْشِ من باب الْوُجُودِ الْوَاجِبِ، أو من باب الْوُجُودِ الْمُمْكِنِ؟ كُلُّ مَخْلُوقٍ وَجُودُهُ من بَابِ الْوُجُودِ الْمُمْكِنِ؛ مَعْنَى (مَخْلُوقٍ) أَنَّهُ وُجِدَ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ وُجِدَ، لَوْ كَانَ وَاجِبًا لِلْوَجُودِ مَا كَانَ مَعْلُومًا مِنْ قَبْلُ، إِذْنَ فَالْعَرْشُ جائزٌ الْوُجُودِ.

[٢] أي أَنَّ الْعَرْشَ جائزٌ الْوُجُودِ، وَالْبَعْوَضَ جائزٌ الْوُجُودِ، وَكُلُّ مِنْهُمَا شَيْءٌ مَوْجُودٌ، فَإِذَا كَانَ هَذَا الْمَوْجُودَانِ مَتَّفِقِيْنِ فِي الْوُجُودِ، وَأَنَّ وَجُودَهُمَا مِنْ بَابِ الْجَائِزِ وَلَيْسَ مِنْ بَابِ الْوَاجِبِ، وَمَعَ ذَلِكَ هَلْ يَلْزَمُ مِنَ اتْتَفاِقِهِمَا فِي الْوُجُودِ أَنْ يَكُونَا مَتَّفِقِيْنِ فِي الْحَقِيقَةِ فِي الدَّازِّ وَكُلُّ شَيْءٌ؟

بِلِ الْذَّهْنُ يَأْخُذُ مَعْنَى مُشَرِّكًا كُلِّيًّا هُوَ مُسَمَّى الْإِسْمِ الْمُطْلَقِ<sup>[١]</sup>.

الجواب: لا، أبداً لا يمكن لعاقل أن يقول: إن البَعْوَضَةَ مثُلُ الْعَرْشِ، «وَسَعَ كُرْسِيَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ» [القرآن: ٢٥٥]، والْعَرْشُ أَكْبَرُ بِكَثِيرٍ مِنَ الْكُرْسِيِّ؛ لأنَّ فضلَ الْعَرْشِ عَلَى الْكُرْسِيِّ كَفْضَلِ الْفَلَةِ عَلَى الْأَرْضِ<sup>[١]</sup>، هل يمكن أن يقول قائل: إن هذه البَعْوَضَةَ الَّتِي هي مِنْ أَحَقِّ الْمَخْلُوقَاتِ تَكُونُ مثَلَ الْعَرْشِ الَّذِي هُوَ أَعْظَمُ الْمَوْجُودَاتِ؟

الجواب: لا.

والضمير في «غَيْرِهِمَا» يعودُ عَلَى الشَّيْءِ وَالْمَوْجُودِ، يعني: أنَّ الْعَرْشَ وَالبَعْوَضَةَ لَيْسَ بِالْخَارِجِ شَيْءٌ يُشَرِّكَانِ فِيهِ سَوَى كَلْمَةِ شَيْءٍ وَمَوْجُودٍ، البَعْوَضَةُ شَيْءٌ وَالْعَرْشُ شَيْءٌ، وَالبَعْوَضَةُ مَوْجُودَةُ وَالْعَرْشُ مَوْجُودٌ، هُما اتَّفَقاً فِي هَذِينِ الْوَصْفَيْنِ، لَكِنَّ فِي الْخَارِجِ لَا يَتَّفَقَانِ فِيهَا عَدَا كَلْمَةِ شَيْءٍ وَمَوْجُودٍ، لَيْسَ بَيْنَ الْعَرْشِ وَبَيْنَ الْبَعْوَضِ اشْتِراكٌ.

وَبِنَاءً عَلَى ذَلِكِ الْعَرْشُ لَا يُمْكِنُ إِدْرَاكُهُ؛ «لِأَنَّهُ لَيْسَ فِي الْخَارِجِ شَيْءٌ مَوْجُودٌ» كَلِمَةُ (فِي الْخَارِجِ) يَعْنِي: خَارِجَ الْوُجُودِ، الْوُجُودُ الْعَيَانِيُّ الَّذِي يُشَاهَدُ وَيُسْمَعُ مَثَلًا؛ فَهُنَاكَ شَيْءٌ ذِهْنِيٌّ وَشَيْءٌ خَارِجِيٌّ؛ فَالشَّيْءُ الذِّهْنِيُّ يَفْرِضُ الْذَّهْنَ، وَالشَّيْءُ الْخَارِجِيُّ لَيْسَ مَوْجُودًا فَعَلَّا.

[١] ويقول المؤلف رحمة الله: «بِلِ الْذَّهْنُ يَأْخُذُ مَعْنَى مُشَرِّكًا كُلِّيًّا هُوَ مُسَمَّى الْإِسْمِ الْمُطْلَقِ»، والمُشَرِّكُ الْكُلِّيُّ: الْذَّاتَانِ الْتَّنَانِ اشْتَرَكَا ذِهْنًا فِي شَيْءٍ وَاحِدٍ هُوَ (شَيْءٌ، وجود).

(١) أخرجه ابن حبان (٢/٧٧، رقم ٣٦١).

وَإِذَا قِيلَ هَذَا مَوْجُودٌ وَهَذَا مَوْجُودٌ فَوُجُودُ كُلِّ مِنْهُمَا يَخْصُهُ لَا يَشْرُكُهُ فِيهِ  
غَيْرُهُ؛ مَعَ أَنَّ الْإِسْمَ حَقِيقَةٌ فِي كُلِّ مِنْهُمَا<sup>[١]</sup>.

وَلَهَذَا سَمِّيَ اللَّهُ نَفْسَهُ بِأَسْمَاءٍ وَسَمِّيَ صِفَاتِهِ بِأَسْمَاءٍ، وَكَانَتْ تِلْكَ الْأَسْمَاءُ  
مُخْتَصَّةً بِهِ إِذَا أُضِيفَتْ إِلَيْهِ لَا يَشْرُكُهُ فِيهَا غَيْرُهُ وَسَمِّيَ بَعْضُ الْمَخْلُوقَاتِ بِأَسْمَاءٍ  
مُخْتَصَّةٍ بِهِمْ مُضَافَةً إِلَيْهِمْ تُوَافِقُ تِلْكَ الْأَسْمَاءِ إِذَا قُطِعَتْ عَنِ الْإِضَافَةِ  
وَالتَّخْصِيصِ<sup>[٢]</sup>.

..... وَلَمْ يَلْزِمْ مِنْ اتَّفَاقِ الْإِسْمَيْنِ وَمَثَالِ مُسَمَّاهُمَا<sup>[٣]</sup>

[١] أي أنَّ وجودَ هذا غيرُ وجودِ هذا، فوجودُ هذا يَخْصُهُ، ووجودُ هذا يَخْصُهُ.

[٢] يقول المؤلِّف رَحْمَةُ اللَّهِ: إنَّ اللَّهَ سَمِّيَ نَفْسَهُ بِأَسْمَاءٍ وَسَمِّيَ صِفَاتِهِ بِأَسْمَاءٍ،  
وَكَانَتْ تِلْكَ «الْأَسْمَاءُ مُخْتَصَّةً بِهِ إِذَا أُضِيفَتْ إِلَيْهِ لَا يَشْرُكُهُ فِيهَا غَيْرُهُ وَسَمِّيَ بَعْضُ  
الْمَخْلُوقَاتِ بِأَسْمَاءٍ مُخْتَصَّةٍ بِهِمْ»، وَلَا يَلْزِمُ مِنْ اتَّفَاقِ الاسمِ أَنْ يَتَّفَقَ المَسْمَى، فَإِذَا كَانَ  
لَا يَلْزِمُ، فَإِنَّهُ لَا يَلْزِمُ مِنْ إِثْبَاتِ صِفَاتِ اللَّهِ عَرَّوْجَلَ أَنْ يَكُونَ مُشَابِهًا لِلْمَخْلُوقَاتِ، هَذَا  
هُوَ تَقْرِيرُ كَلَامِ المؤلِّفِ لِيَلْزِمَ بِهِ كُلَّ هَذِهِ الطَّوَافِ الثَّلَاثَ؛ لِأَنَّ جَمِيعَ الطَّوَافِ  
الثَّلَاثَ أَقْلُ مَنْ فِيهِنَّ الَّذِينَ أَبْتُوا الْأَسْمَاءَ دُونَ مَا تَضَمَّنَتْ مِنَ الصَّفَاتِ؛ فِرَارًا مِنَ  
الوَقْعِ فِي التَّمَثِيلِ، وَهَذَا الْفِرَارُ الَّذِي فَرَزْتُمْ مِنْهُ أَوْقَعْتُمْ فِي أَشَرِّ مَا فَرَرْتُمْ مِنْهُ مَعَ  
تَعْطِيلِ النُّصُوصِ وَتَحْرِيفِهَا، ثُمَّ إِنَّ مَا ذَكَرْتُمْ أَنَّهُ لَازِمٌ لِيَسَّ بِالْبَلَازِمِ.

[٣] قوله: «وَلَمْ يَلْزِمْ مِنْ اتَّفَاقِ الْإِسْمَيْنِ وَمَثَالِ مُسَمَّاهُمَا» بِالإِثْبَاتِ وَالتَّخْصِيصِ  
لَمْ يَلْزِمْ اتَّفَاقُهُمَا وَلَا مَثَالُ المَسْمَى عَنِ الْإِضَافَةِ وَالتَّخْصِيصِ، فَضْلًا أَنْ يَتَحَدَّ مَسَمَّاهُمَا  
عَنِ الْإِضَافَةِ وَالتَّخْصِيصِ.

وَأَنْحَادِهِ عِنْدَ الْإِطْلَاقِ وَالْتَّجْرِيدِ عَنِ الْإِضَافَةِ وَالتَّخْصِيصِ اتَّفَاقُهُمَا وَلَا تَمَاثِلُ  
الْمُسَمَّى عِنْدَ الْإِضَافَةِ وَالتَّخْصِيصِ فَضْلًا عَنْ أَنْ يَتَجَزَّدَ مُسَمًّا هُمَا عِنْدَ الْإِضَافَةِ  
وَالتَّخْصِيصِ.

فَقَدْ سَمِّيَ اللَّهُ نَفْسَهُ حَيًّا فَقَالَ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]  
وَسَمِّيَ بَعْضُ عِبَادِهِ حَيًّا فَقَالَ: ﴿يَخْرُجُ الْحَيُّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيَخْرُجُ الْمَيِّتُ مِنَ الْحَيِّ﴾  
[يوس: ٣١]<sup>[١]</sup>، وَلَيْسَ هَذَا الْحَيُّ مِثْلَ هَذَا الْحَيِّ؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿الْحَيَاةُ﴾ اسْمُ اللَّهِ  
مُخْتَصٌ بِهِ وَقَوْلَهُ: ﴿يَخْرُجُ الْحَيُّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ اسْمُ لِلْحَيِّ الْمَخْلُوقِ مُخْتَصٌ بِهِ، وَإِنَّمَا  
يَتَفَقَّانِ إِذَا أَطْلِقَا وَجُرِّدَا عَنِ التَّخْصِيصِ<sup>[٢]</sup>.....

[١] ذكر المؤلف رحمة الله أمثلة، سمي الله نفسه حيًا فقال: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ  
الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾، وقال: ﴿وَوَكَّلَ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨]. وسمى أيضًا  
العبد حيًا، فقال: ﴿يَخْرُجُ الْحَيُّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيَخْرُجُ الْمَيِّتُ مِنَ الْحَيِّ﴾، فهل الحيُّ الَّذِي  
يُخْرِجُهُ اللَّهُ هُوَ مِثْلُ اللَّهِ؟

الجواب: لا، إذن فلا يلزم من اتفاقهما في الاسم أن يتلقا في الحقيقة، فحياة الحالق  
مُخْتَصٌ به وحياة المخلوق مُخْتَصٌ بِهِ، حتى الإنسان وإن اتفق الناسُ في الإنسانية،  
فإنسانية كل شخص مُخْتَصٌ به، وتختلف عن الآخر، بعض الناس يكون إنساناً ويستعمل  
إنسانيته فيما يليق به، وبعض الناس يكون إنساناً، ولكنه كالحيوان.

[٢] قوله: «وَإِنَّمَا يَتَفَقَّانِ إِذَا أَطْلِقَا وَجُرِّدَا عَنِ التَّخْصِيصِ» ومعنى يتلقان: يعني:  
كلمة أنت حيٌّ، أنت حيٌّ، ولو قلت مئة مرة إنها تتفق، وإنما يكون معناهما  
واحداً إذا جُرِّداً عن الإضافة والتخصيص، ومعنى (جُرِّداً عن الإضافة والتخصيص)

وَلَكِنْ لَيْسَ لِلْمُطْلَقِ مُسَمًّى مَوْجُودٌ فِي الْخَارِجِ [١].

وَلَكِنَّ الْعَقْلَ يَقْهِمُ مِنَ الْمُطْلَقِ قَدْرًا مُشْتَرِكًا بَيْنَ الْمُسَمَّيْنِ وَعِنْدَ الْإِخْتِصَاصِ يُقَيِّدُ ذَلِكَ بِمَا يَتَمَيَّزُ بِهِ الْخَالِقُ عَنِ الْمَخْلُوقِ وَالْمَخْلُوقُ عَنِ الْخَالِقِ، وَلَا بُدَّ مِنْ هَذَا فِي جَمِيعِ أَسْمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ يُقْهِمُ مِنْهَا مَا دَلَّ عَلَيْهِ الْإِسْمُ بِالْمُواطَأَةِ وَالْإِتْفَاقِ وَمَا دَلَّ عَلَيْهِ بِالْإِضَافَةِ .....

لَا أُضِيفُ (الْحَيُّ) إِلَى اللَّهِ وَلَا إِلَى الْإِنْسَانِ حِيشَنْدِ تَتَقُّوُ؛ لَكِنْ عِنْدَ الْإِضَافَةِ وَالتَّخْصِيصِ يَخْتَلِفُ بِحَسْبِ مَا يُضَافُ إِلَيْهِ.

[١] قَوْلُهُ: «وَلَكِنْ لَيْسَ لِلْمُطْلَقِ مُسَمًّى مَوْجُودٌ فِي الْخَارِجِ» الْمُطْلَقُ يَعْنِي: الَّذِي لَمْ يُضَفْ، فَهُوَ مُجَرَّدٌ مِنَ الْإِضَافَةِ وَالتَّخْصِيصِ.

عِنْدَمَا تَقُولُ: الْحَيُّ، لَا يَنْصَرِفُ ذَهْنُنَا إِلَى شَيْءٍ مُعَيَّنٍ، فَهَذَا مُطْلَقُ، يَعْنِي: عِنْدَمَا تَقُولُ: (الْحَيُّ أَوِ الْكَبِيرُ أَوِ الْقَدِيرُ) وَأَنْتَ لَا تَقْصِدُ بِهِ شَيْئًا مُعَيَّنًا فَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ لَيْسَ لَهُ وِجُودٌ فِي الْخَارِجِ، وَإِنَّا تَفْرِضُ حَيًّا لَيْسَ لَهُ وِجُودٌ، فَلَا يَمْكُنُ أَنْ يُوجَدَ اسْمٌ مُطْلَقٌ غَيْرُ مُقَيَّدٍ بِأَحَدٍ إِلَّا فِي الذَّهَنِ فَقَطُّ، فَإِذَا وُجِدَ فِي الْخَارِجِ فَإِنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَتَمَيَّزَ فِيهِ كُونُ بِحَسْبِ الْإِضَافَةِ وَالتَّخْصِيصِ، بِحَسْبِ مَا يُضَافُ إِلَيْهِ، وَبِحَسْبِ مَا يَخْتَصُّ بِهِ.

هَذِهِ - فِي الْحَقِيقَةِ - بِحَوْثٍ كُلُّهَا مُنْطَقِيَّةُ، لَكِنَّهَا وَاضْحَى وَلَيْسَ صَعْبَةً، وَكَمَا قَالَ شِيخُ الْإِسْلَامِ عَنِ الْمَنْطَقِ: «إِنَّهُ لَا يَتَقَعُّ بِهِ الْبَلِيدُ، وَلَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الذَّكِيُّ»<sup>(١)</sup>. فِيهِ نَوْعٌ مِنَ التَّعْقِيْدَاتِ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ جَدِيدٌ، غَايَةُ مَا هَنالِكَ أَنَّهُ اصْطِلَاحَاتٌ فَقَطُّ.

(١) مُجَمُوعُ الْفَتاوَىٰ (٩/٨٢).

وَالْإِخْتِصَاصُ الْمَانِعُ مِنْ مُشَارَكَةِ الْمُخْلُوقِ لِلْخَالِقِ فِي شَيْءٍ مِنْ خَصَائِصِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى [١].

[١] يعني: كذلك الصفات - كالعلم مثلاً - العلم موجود في الإنسان وموجود في الله عزوجل، القدر المشتركة من العلم يتتحقق فيه هذا وهذا، وهو المعنى الكلّي المطلق، لكن هذا المعنى الكلّي المطلق ليس له وجود في الخارج، إنما وجوده في الذهن، والحقيقة أن الخارجي لا بد أن يتميز كل علم عن الآخر، نقول: الله تعالى علیم، الإنسان عنده علم «وَقَوْقَ كُلَّ ذِي عِلْمٍ عَلَيْهِ عِلْمٌ» [يوسف: ٧٦].

وهل علم الله مثل علم المخلوق؟

لا، ليس مثله أبداً، ولا يمكن أن يُدَانِيهُ، بل إن علوم المخلوقين أيضاً تختلف اختلافاً ظاهراً، فإذا كان كذلك فإنه لا يلزم من اتفاق المخلوق مع الخالق في الاسم أن يتتفقاً في الحقيقة.

والغرض من هذا الكلام تفصيل إبطال قول الذين قالوا: إن إثبات الصفة لله عزوجل يلزم منه - على رأيهما - التشبيه والماهلة، فالمؤلف يريد أن يقرّ أن هذا الأمر خطير جداً؛ عندما تعتقد أن لك ربّاً لا يسمع ولا يُبصر ولا يقوم ولا يفهم، أين ربّ إذن؟ وهذا قال إبراهيم لأبيه: «تَبَّأْتَ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبَصِّرُ وَلَا يَعْنِي عَنْكَ شَيْئاً» [مريم: ٤٢].

أولئك الفلاسفة والطوائف الثلاثة التي ذكرها المؤلف يقولون: إنهم يعبدون من لا يسمع ولا يُبصر ولا يُعني عنهم شيئاً، وهذا معلوم أنه كفر.

فالحاصل هو أننا فهمنا أموراً ثلاثة:

أولاً: أن كل حادث لا بد له من حدث، وكل ممكن لا بد له من واجد، والدليل

وَكَذَلِكَ سَمِّيَ اللَّهُ نَفْسَهُ عَلَيْهَا حَلِيمًا، وَسَمِّيَ بَعْضُ عِبَادِهِ عَلَيْهَا فَقَالَ: «وَبَشَّرُوهُ بِغُلَمٍ حَلِيمٍ» [النَّارِيَاتُ: ٢٨]، يَعْنِي: إِسْحَاقُ، وَسَمِّيَ آخَرَ حَلِيمًا فَقَالَ: «فَبَشَّرْتَهُ بِغُلَمٍ حَلِيمٍ» [الصَّافَاتُ: ١٠١]، يَعْنِي: إِسْمَاعِيلُ، وَلَيْسَ الْعَلِيمُ كَالْعَلِيمِ، وَلَا الْحَلِيمُ كَالْحَلِيمِ.

وَسَمِّيَ نَفْسَهُ سَمِيعًا بَصِيرًا فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤْتُوا الْأَمْمَاتِ إِلَيْهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ إِنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ يُعْلَمُ بِمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا» [النِّسَاءُ: ٥٨]، وَسَمِّيَ بَعْضُ عِبَادِهِ سَمِيعًا بَصِيرًا فَقَالَ: «إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجَ تَبَتَّلَتِهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا» [الإِنْسَانُ: ٢]، وَلَيْسَ السَّمِيعُ كَالسَّمِيعِ، وَلَا الْبَصِيرُ كَالْبَصِيرِ<sup>[١]</sup>.

على ذَلِكَ قُولُهُ تَعَالَى: «أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَلِيقُونَ» [الطُّورُ: ٣٥]، فَإِنْ هَذَا اسْتِدْلَالٌ بِالْحَوَادِثِ عَلَى وُجُودِ الْخَالِقِ.

ثَانِيًّا: أَنْ اشْتِراكَ الشَّيْئَيْنِ فِي مِعْنَى مِنَ الْمَعَانِي إِنَّهَا يَتَقَعَّدُ فِي الْمَعْنَى الْمُطْلَقِ الْمُجَرَّدِ عَنِ الإِضَافَةِ وَالْخَصَاصَاتِ، عِنْدَمَا تَقُولُ: الْعَرْشُ شَيْءٌ مَوْجُودٌ، وَالْبَعْوُضُ شَيْءٌ مَوْجُودٌ، اشْتَرَكَ فِي هَذَا الْمَعْنَى الْمُطْلَقِ، لَكِنَّ عِنْدَهُمَا إِضَافَةٌ وَتَخْصِيصٌ يُخْتَلِفُونَ؛ فَوُجُودُ الْعَرْشِ لَيْسَ كَوُجُودِ الْبَعْوُضِ.

ثَالِثًا: أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى سَمِّيَ نَفْسَهُ بِأَسْمَاءِ، وَصَفَاتِهِ بِأَسْمَاءِ، وَلِلْمَخْلُوقِينَ نَظِيرٌ هُنَّ الْأَسْمَاءُ، وَلَا يَلْزُمُ مِنَ اتِّفَاقِهِمَا بِالْمَعْنَى الْكُلِّيِّ الْعَامِ أَنْ يَتَقَعَّدَا فِي هَذَا الْمَعْنَى عِنْدَهُمَا، وَالْإِضَافَةُ وَالتَّخْصِيصُ يُخْتَلِفُونَ.

[١] هَذَا وَاضِحٌ، وَهُوَ أَنَّ الْإِتْفَاقَ فِي الْاسْمِ أَوْ فِي الصِّفَةِ لَا يَلْزُمُ مِنْهُ التَّسَاوِي فِيهَا يُخْتَصُّ فِيهِ كُلُّ وَاحِدٍ.

وَسَمِّيَ نَفْسَهُ بِالرَّؤُوفِ الرَّحِيمِ فَقَالَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالشَّاسِرِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣]، وَسَمِّيَ بَعْضُ عِبَادِهِ بِالرَّؤُوفِ الرَّحِيمِ فَقَالَ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَّسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عِنْتُمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبه: ١٢٨]، وَلَيْسَ الرَّؤُوفُ كَالرَّؤُوفِ، وَلَا الرَّحِيمُ كَالرَّحِيمِ.

وَسَمِّيَ نَفْسَهُ بِالْمَلِكِ، فَقَالَ: ﴿الْمَلِكُ الْقَدوْسُ﴾ [الجمعة: ١]، وَسَمِّيَ بَعْضُ عِبَادِهِ بِالْمَلِكِ فَقَالَ: ﴿وَكَانَ وَرَأَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصِّبًا﴾ [الكهف: ٧٩]، ﴿الْمَلِكُ أَنْوَفٌ بِهِ﴾ [يوسف: ٥٠]، وَلَيْسَ الْمَلِكُ كَالْمَلِكِ.

وَسَمِّيَ نَفْسَهُ بِالْمُؤْمِنِ الْمُهِيمِنِ، وَسَمِّيَ بَعْضُ عِبَادِهِ بِالْمُؤْمِنِ فَقَالَ: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوْنَ﴾ [السجدة: ١٨]، وَلَيْسَ الْمُؤْمِنُ كَالْمُؤْمِنِ.

وَسَمِّيَ نَفْسَهُ بِالْعَزِيزِ فَقَالَ: ﴿الْعَزِيزُ الْجَبَارُ الْمُتَكَبِّرُ﴾ [الحشر: ٢٣]، وَسَمِّيَ بَعْضُ عِبَادِهِ بِالْعَزِيزِ فَقَالَ: ﴿قَاتَ أَمْرَاتُ الْعَزِيزِ﴾ [يوسف: ٥١]، وَلَيْسَ الْعَزِيزُ كَالْعَزِيزِ.

وَسَمِّيَ نَفْسَهُ الْجَبَارُ الْمُتَكَبِّرُ، وَسَمِّيَ بَعْضُ خَلْقِهِ بِالْجَبَارِ الْمُتَكَبِّرِ قَالَ: ﴿كَذَّالِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَارٍ﴾ [غافر: ٣٥]، وَلَيْسَ الْجَبَارُ كَالْجَبَارِ، وَلَا الْمُتَكَبِّرُ كَالْمُتَكَبِّرِ، وَنَظَائِرُ هَذَا مُتَعَدِّدةٌ<sup>١]</sup>.

[١] وبهذا تبيّن أن أصل ضلالِ الّذين حادوا عن طريقِ المرسلينَ، وأنكروا أن يكون اللهُ مُتَصِّفًا إما بالثبوتِ مُطلقاً، أو بالثبوتِ والعدمِ أنهم ظنُوا أن تماثلُهما - أي: تماثلُ الخالق مع المخلوق - في الاسم يدلُّ على تماثلِهما في الحقيقةِ والصفةِ، وما يختصُ به كُلُّ واحدٍ، وهذا الظنُّ خطأً.

وَكَذَلِكَ سَمَّى صِفَاتِهِ بِأَسْمَاءِ، وَسَمَّى صِفَاتِ عِبَادِهِ بِنَظَرِ ذَلِكَ فَقَالَ: «وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ» [البقرة: ٢٥٥]، «رَبِّ عِلْمِهِ» [النساء: ١٦٦]، وَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمُتَّيْنُ» [الذاريات: ٥٨]، وَقَالَ: «أَوَلَنْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً» [فصلت: ١٥]، وَسَمَّى صِفَةَ الْمُخْلُوقِ عِلْمًا وَقُوَّةً، فَقَالَ: «وَمَا أُوتِيتُمْ مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا» [الإسراء: ٨٥]، وَقَالَ: «وَقَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلَيْمٌ» [يوسف: ٧٦]، وَقَالَ: «فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِّنْ عِلْمٍ» [غافر: ٨٣]، وَقَالَ: «اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً» [الروم: ٥٤]، وَقَالَ: «وَبِرِزْدَكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ» [هود: ٥٢]، وَقَالَ: «وَالْمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْنِدِي» [الذاريات: ٤٧]، أي: بِقُوَّةٍ<sup>[١]</sup>.

وذكرنا أن بعض المخلوقات تميّز عن البعض الآخر، فليس عِلْمُ الإنسان الكادح في طلبِ العِلْمِ كعِلْمِ الإنسان المُعرضِ عن طَلَبِ العِلْمِ، وليس عِلْمُ البالغ كعِلْمِ الطَّفل وما أشبه ذلك.

[١] إذا قال قائل: هل شيخ الإسلام رَحْمَةُ اللَّهِ فِي تَفْسِيرِ هذه الآية: «وَالْمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْنِدِي» بالقُوَّةِ هل هُوَ مُحرَفٌ أم لِيس بِمُحرَفٍ؟ وما الفرق بين تفسيره لقوله: «بِأَيْنِدِيْهِمْ» أي: بِقُوَّةٍ، وإنكارِنا على من يقول: «مَمَّا عَمِلْتَ أَيْدِيْنَا» بِقُوَّةٍ؟

الجواب: الفرق بينها هو أَنَّ اللَّهَ هُنَا قَالَ «بِأَيْنِدِي» ولم يُقُلْ بِأَيْدِيْنَا، لو أضاف إلى نفسه صارت من صفاتِهِ، ولذلك الْيُدُّ الَّتِي أضافَهَا إلى نفسهِ يقول: إنَّهَا من صفاتِهِ ولا يمكن أن نُفَسِّرَهَا بالقُوَّةِ، فقولُهُ تعالى: «يَدُ اللَّهِ فَوَّقَ أَيْدِيْهِمْ» لا يمكنُ أن يُقَال: قُوَّةُ اللَّهِ فَوَّقَ قُوَّتِهِمْ، «أَوَلَنْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مَمَّا عَمِلْتَ أَيْدِيْنَا أَنْعَكِمَا» لا يمكن

وَقَالَ: ﴿وَذَكَرْ عَبْدَنَا دَأْوَدَ ذَا الْأَيْدِ﴾ [ص:١٧]; أَيْ: ذَا الْقُوَّةِ وَلَيْسَ الْعِلْمُ كَالْعِلْمِ وَلَا الْقُوَّةُ كَالْقُوَّةِ.

وَوَصَفَ نَفْسَهُ بِالْمَشِيَّةِ وَوَصَفَ عَبْدَهُ بِالْمَشِيَّةِ فَقَالَ: ﴿لِمَ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التوكير: ٢٨ - ٢٩]، وَقَالَ: ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذَكِّرَةٌ فَمَنْ شَاءَ أَخْذَ إِلَيْ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ [المزمول: ١٩]، ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا حَكِيمًا﴾ [الإِنسان: ٣٠].

وَكَذَلِكَ وَصَفَ نَفْسَهُ بِالْإِرَادَةِ وَعَبْدَهُ بِالْإِرَادَةِ فَقَالَ: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٧].

وَوَصَفَ نَفْسَهُ بِالْمَحَبَّةِ، وَوَصَفَ عَبْدَهُ بِالْمَحَبَّةِ فَقَالَ: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤]، وَقَالَ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُجْنِونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحِبِّتُكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

وَوَصَفَ نَفْسَهُ بِالرِّضَا، وَوَصَفَ عَبْدَهُ بِالرِّضَا فَقَالَ: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [المائدة: ١١٩].

وَمَعْلُومٌ أَنَّ مَشِيَّةَ اللَّهِ لَيْسَتْ مِثْلَ مَشِيَّةِ الْعَبْدِ، وَلَا إِرَادَتُهُ مِثْلُ إِرَادَتِهِ وَلَا مَحَبَّتُهُ مِثْلُ مَحَبَّتِهِ، وَلَا رِضَاهُ مِثْلُ رِضَاهُ.

أَنْ يُقَالُ: مَا عَمِلْتَ قُوانِي، أَمَّا هُنَا فِإِنَّهَا لَمْ تُضَفِّ إِلَى اللَّهِ، بَلْ قَالَ: ﴿بِأَيْنِ﴾ وَأَيْدِي هذه مُصْدَرُ (آدِيَتْ أَيْدِي) مُثْلُ (بَاعَ بَيْعَ بَيْعًا)، وَالْأَيْدِي فِي الْلُّغَةِ الْقُوَّةُ، فَلِيُسَ هُنَّاكَ تَحْرِيفٌ، وَقَدْ كَانَ بَعْضُ الطَّلَبَةِ إِذَا سَمِعَ بِمُثْلِ هَذَا الْكَلَامِ يَقُولُ: هَذَا مَحْرَفٌ، وَلَكِنْ عِنْدَمَا يَبْحَثُ الإِنْسَانُ أَوْ يَنْاقِشُ يَتَبَيَّنُ الْأَمْرُ.

وَكَذَلِكَ وَصَفَ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ يَمْقُتُ الْكُفَّارَ، وَوَصَفَهُمْ بِالْمَقْتِ فَقَالَ: «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذَا دُعَوْتُ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ» [غافر: ١٠]، وَلَيْسَ الْمَقْتُ مِثْلُ الْمَقْتِ<sup>[١]</sup>.

وَهَكَذَا وَصَفَ نَفْسَهُ بِالْمُكْرِرِ وَالْكَيْدِ كَمَا وَصَفَ عَبْدَهُ بِذَلِكَ فَقَالَ: «وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ» [الأفال: ٣٠]، وَقَالَ: «إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا وَأَكْيَدُ كَيْدًا» [الطارق: ١٥-١٦]، وَلَيْسَ الْمُكْرُرُ كَالْمُكْرِرِ، وَلَا الْكَيْدُ كَالْكَيْدِ<sup>[٢]</sup>.

[١] قوله: «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ» هنا يقول المؤلف رحمة الله: إن الله وصف نفسه بالمقت، ووصف عبدة بالمقت، هذا من باب إضافة المصدر إلى فاعله؛ لأنَّه لا يستقيمُ أنَّ الله وصف نفسه بالمقت إلا إذا قلنا إنه يُضاف إلى الفاعل، يعني: لقت الله إياكم فيكونُ من باب إضافة المصدر إلى فاعله، والمقت أشدُ البغضِ.

[٢] إذا سأَلْ سائلٌ: هل المُكْرُر صفةٌ نقصٌ وذمٌ أم صفةٌ كمالٌ ومدحٌ؟  
فاجلواه: أنه قد يكون صفةً مدحٌ وقد يكون صفةً ذمٌ، فإن قيل في مقابلة الغير - لأنَّه أعظمُ - فهو صفةٌ مدحٌ، وإن قيل مطلقاً فهو صفةٌ ذمٌ، ولهذا لا يُوصف الله به مطلقاً أبداً، فلا يجوزُ أن تقول: «إِنَّ اللَّهَ مَا كِرَرُ»، هذا حرامٌ، أو إِنَّ اللَّهَ كَائِدُ؛ لأنَّ هذا يقتضي النَّقصَ، ولكن نقول: ما كِرَرْ بِأَعْدَائِهِ، ما كِرَرْ بِاِيمَانِهِ أو بِأَعْدَائِهِ؛ فكون الله يمْكُرُ بهم مع أنهم هُمْ يمْكُرُونَ يدلُّ على أن الله تعالى أقوى منهم وأعلمُ منهم.

والإنسان في الحقيقة إذا كان له عدُوٌ وأراد عدُوهُ أن يمْكُرَ به ثم مَكَرَ مكرًا

وَوَصَفَ نَفْسَهُ بِالْعَمَلِ فَقَالَ: «أَوَلَئِرَبُوا أَنَا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلْتُ أَيْدِيهِنَّا أَنْعَنَّا فَهُمْ لَهُمَا مَتَّلِكُونَ» [يس: ٧١]، وَوَصَفَ عَبْدَهُ بِالْعَمَلِ فَقَالَ: «جَزَاءُهُمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» [السجدة: ١٧]، وَلَيْسَ الْعَمَلُ كَالْعَمَلِ.

وَوَصَفَ نَفْسَهُ بِالْمُنَادَاةِ وَالْمُنَاجَاةِ، فَقَالَ: «وَنَذَرْتَهُ مِنْ جَانِبِ الْطُورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَبْتَهُ بِحِينَى» [مريم: ٥٢]<sup>(١)</sup>، وَقَالَ: «وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ» وَقَالَ: «وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا» [الأعراف: ٢٢]، وَوَصَفَ عِبَادَهُ بِالْمُنَادَاةِ وَالْمُنَاجَاةِ فَقَالَ: «الَّذِينَ يُنَادِونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجَرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ» [الحجرات: ٤]، وَقَالَ: «تَنَجِّيْمُ الرَّسُولِ فَقَدِمُوا» [المجادلة: ١٢]، وَقَالَ: «تَنَجِّيْمُ فَلَّا تَنْتَجِبُوا إِلَيْنِي وَالْعُذُونَ وَمَعْصِيَتِي» [المجادلة: ٩]، وَلَيْسَ الْمُنَادَاةُ وَلَا الْمُنَاجَاةُ كَالْمُنَاجَاةِ وَالْمُنَادَاةِ.

وَوَصَفَ نَفْسَهُ بِالْتَّكْلِيمِ فِي قَوْلِهِ: «وَكَلَمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا» [النساء: ١٦٤]،

أَقْوَى مِنْهُ يُعْدُ هَذِهِ صِفَةً مِدْحَ، وَهَذَا جَاءَ فِي الْأَثْرِ «الْحَرْبُ خَدْعَةٌ»<sup>(١)</sup>، وَخُدْعَةٌ مُعْنَاهُ: أَنْ فِي حَالِ الْحَرْبِ يُنْظَرُ إِلَى الْدَّهَاءِ وَإِلَى شِدَّةِ الْمُكْرِ.

إِذْنَ لَا يُوصَفُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْمُكْرِ وَالْكِيدِ عَلَى سَبِيلِ الإِطْلَاقِ، وَإِنَّمَا يُوصَفُ بِهِ عَلَى سَبِيلِ التَّقْيِيدِ.

[١] قَوْلُهُ: «نَحِيَّا» الْمُنَاجَاةُ هِيَ الْكَلَامُ عَنْ قُرْبٍ، وَالْمُنَادَاةُ هِيَ الْكَلَامُ عَنْ بُعْدٍ؛ وَهَذَا تَكُونُ الْمُنَاجَاةُ بِصَوْتٍ خَفِيٍّ، وَالْمُنَادَاةُ بِصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ، وَ(نَحِيَّا) فَعِيلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ.

(١) أَخْرَجَهُ الْبَخَارِيُّ: كِتَابُ الْجَهَادِ وَالسَّيْرِ، بَابُ: الْحَرْبِ خَدْعَةٌ، رَقْمُ (٣٠٢٨)، وَمُسْلِمُ: كِتَابُ الْجَهَادِ وَالسَّيْرِ، بَابُ جَوَازِ الْخَدْاعِ فِي الْحَرْبِ، رَقْمُ (١٧٤٠).

وَقَوْلِهِ: «وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَمْهُ، رَبِّهُ» [الأعراف: ١٤٣]، وَقَوْلِهِ: «إِنَّكَ أَرْسَلْتَنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَنْ كَلَمَ اللَّهَ» [البقرة: ٢٥٣]، وَوَصَفَ عَبْدَهُ بِالْتَّكْلِيمِ فِي قَوْلِهِ: «وَقَالَ الْمَلِكُ أَنْتُنِي بِهِ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدِينِنَا مَكِينٌ أَمِينٌ» [يوسف: ٥٤]، وَلَيْسَ التَّكْلِيمُ كَالتَّكْلِيمِ.

وَوَصَفَ نَفْسَهُ بِالْتَّبَيِّنَةِ، وَوَصَفَ بَعْضَ الْحَلْقِ بِالْتَّبَيِّنَةِ فَقَالَ: «وَلَا أَسْرَ النَّيْتَى إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ، حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ، وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ، وَأَغْرَضَ عَنْ بَعْضِهِ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ، قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَأْنِي الْعَلِيمُ الْخَيْرُ» [التحريم: ٣]، وَلَيْسَ الْأَنْبَاءُ كَالْأَنْبَاءِ.

وَوَصَفَ نَفْسَهُ بِالْتَّعْلِيمِ وَوَصَفَ عَبْدَهُ بِالْتَّعْلِيمِ فَقَالَ: «الرَّحْمَنُ عَلَمَ الْقُرْبَاءَ أَنَّ خَلَقَ الْإِنْسَنَ عَلَمَهُ الْبَيَانَ» [الرحمن: ٤-١]، وَقَالَ: «تَعْلَمُونَ مِمَّا عَلَمْنَاكُمْ» [المائدة: ٤]، وَقَالَ: «لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذَا بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتَلَوَّ عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ، وَيُزَكِّيُّهُمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ» [آل عمران: ١٦٤]، وَلَيْسَ التَّعْلِيمُ كَالْتَّعْلِيمِ.

وَهَكَذَا وَصَفَ نَفْسَهُ بِالْغَضَبِ فَقَالَ: «وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ» [الفتح: ٦]، وَوَصَفَ عَبْدَهُ بِالْغَضَبِ فِي قَوْلِهِ: «وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ، غَضِبَنَ أَسْفًا» [الأعراف: ١٥٠]، وَلَيْسَ الغَضَبُ كَالْغَضَبِ<sup>[١]</sup>.

وَوَصَفَ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ اسْتَوَى عَلَى عَرْشِهِ فَذَكَرَ ذَلِكَ فِي سَبْعِ مَوَاضِعٍ<sup>[٢]</sup> .....

[١] كلام المؤلف رحمة الله في كل ما سبق واضح، وقد تقدم شرحه.

[٢] قوله: «سبعين موضع» ربما يكون في كلام المؤلف لحن، أي: مخالفة لقواعد اللغة العربية، فالصواب (سبعة مواضع).